



# التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بقضايا الأدب والنقد



تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن

كلية الآداب والعلوم والإنسانية والاجتماعية

جامعة باجي مختار/عنابة (الجزائر)

جوان 2008

العدد الثاني

# التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بقضايا الأدب والنقد



تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن

كلية الآداب والعلوم والإنسانية

جامعة باجي مختار/عناية (الجزائر)

إدارة المجلة:

مدير المجلة: أ.د عبد المجيد حنون

رئيس التحرير: د.محمد بلوهم

أمانة التحرير:

-د/ نظيرة الكتر

-أ. هجيرة لعور

العنوان: مخبر الأدب العام والمقارن، كلية الآداب

والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عناية،

ص ب 12. عناية 23000/الجزائر

الهاتف والفاكس: 038-84-51-49 / 038-84-75-25

البريد الإلكتروني : ettaoussouleladabi@yahoo.fr

الترقيم الدولي الموحد للمجلات : ISSN 1112-7597

جوان 2008

العدد الثاني

## أعضاء الهيئة العلمية:

رئيس التحرير :

د. محمد بلواهم

الأعضاء :

1- أ.د حفناوي بعلي

2- د. إسماعيل ابن صفية

3- د. نسيمه عيلان

4- أ.عمار رجال

5- د. علي خفيف

6- د. نظيرة الكتر

7- أ. هجيرة لعور

## أعضاء الهيئة الاستشارية:

1- أ.د مختار نويوات (جامعة عنابة)

2- أ. د عبد الحميد بورايو (جامعة الجزائر)

3- أ.د الطيب بودربالة (جامعة باتنة)

4- أ.د عبد الواحد شريفني (جامعة وهران)

5- أ. د عز الدين مخزومي (جامعة وهران)

6- أ.د حبيب منسي (جامعة سيدي بلعباس)

7- أ.د عيسى بريهمات (جامعة الأغواط)

8- أ. د أحمد منور (جامعة الجزائر)

## شروط النشر في المجلة:

- 1- تنشر المجلة البحوث والدراسات العلمية التي تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنقد والترجمة، وتتسم بالعمق والجدة والأصالة.
  - 2- ترسل الدراسات في نسختين وقرص مرن، ويكون حجم المقال في حدود (20) صفحة مقاسها 24×16، مع كتابة الإحالات والمراجع مرقمة في آخر المقال.
  - 3- تكتب المقالات بخط (Traditional Arabic) من عيار 16، وبرنامج (Microsoft Word) أو نظام (RTF).
  - 4- ينبغي أن ترفق المقالات بملخص تحدد فيه الإشكالية وأهم العناصر والأهداف المتوخاة من الدراسة.
  - 5- تخضع المقالات للتحكيم العلمي من الهيئة العلمية.
  - 6- تقوم هيئة التحرير بإخطار أصحاب المقالات في حالة عدم النشر لسبب من الأسباب.
  - 7- المقالات لا ترد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.
  - 8- المقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن المجلة.
  - 9- يتحصل أصحاب المقالات على نسخة من المجلة وخمس مستلآت من المقال.
  - 10- ترسل المواد إلى رئيس تحرير مجلة التواصل الأدبي، مخبر الأدب العام والمقارن العنوان: كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة، ص ب 12- عنابة 23000/ الجزائر.
- الهاتف والفاكس: 038-84-51-49 / 038-84-75-25  
البريد الإلكتروني: [ettaoussouleladabi@yahoo.fr](mailto:ettaoussouleladabi@yahoo.fr)

## الفهرس

|     |                                                                                                          |
|-----|----------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|     | د. عبد الوهاب شعلان                                                                                      |
| 07  | ميخائيل باختين: الكرنفال والحوارية.....<br>آسيا بن عبدي                                                  |
| 27  | انطولوجيا الأدب الهامشي المصطلح والحمولة المعرفية.....<br>فتحي أولاد بوهدة                               |
| 50  | الغموض والتواصل الأدبي من منظور التلقي.....<br>د. خلف خازر ملحم الخريشة                                  |
| 59  | قراءة تركيبية دلالية في قصيدة " جَيِّكُورُ وَ أَشْجَارُ الْمَدِينَةِ " للسيّاب.....<br>أ. نور الدين مكفة |
| 80  | قراءة سيميائية بنوية لقصيدة « المهرولون » لزار قَبّاني.....<br>الأستاذ رشيد شعلال                        |
| 103 | شعرية الاختزال عند البردوني الصورة الاستعارية نموذجاً.....<br>عبد الرحمن زايد قيوش                       |
| 124 | عنصر الزمن ودوره في صياغة عالم القصيدة لدى محمود درويش.....<br>أ. بهاء بن نوار                           |
| 136 | الموت في ختام النصوص قراءة في شعر المتنبي.....<br>د- وليد بوعديلة                                        |
| 156 | أسطورة شخصية المسيح في الشعر العربي المعاصر.....<br>د. إسماعيل بن اصفية                                  |
| 171 | استحضار الشخصية التاريخية في المسرح الجزائري.....<br>إعداد: الدكتور صالح ولعة                            |
| 194 | البناء والدلالة في رواية حين تركنا الجسر " عبد الرحمن منيف ".....                                        |

209

وظائف السارد في تغريبة بني هلال.....

بقلم : هيلينة توزيت **Hélène Tuzet**

224

أسطورة أدونيس الأدبية.....

## في التداول و التواصل الافتتاحية قراءة في العدد

بقلم رئيس التحرير  
الدكتور محمد بلوهم

حقيق بي في مستهل هذه الافتتاحية الإشارة إلى الصدى الطيب الذي تركه العدد الأول بين متداوليه، يدل على ذلك مسارعة عديد الباحثين ممن تيسر لهم الحصول عليه، سواء كانوا من داخل القطر الجزائري أو من خارجه، إلى إرسال بحوث علمية قصد تدعيم خط المجلة.

يعد هذا الأثر الطيب من جهة دليلا واقعا واضحا على صواب الخطوة الأولى التي خطتها المجلة، و يعد من جهة أخرى تركية أكيدة تحت على مواصلة السير بخطى وثقة. أوحى لي هذا الأثر الإيجابي بعنوان الافتتاحية ((... في التداول والتواصل)) لاعتقادي أن التداول المؤدي إلى رد فعل إيجابي كحال قراءة مجلة التواصل يعد نجاحا حقيقيا عمليا وليس أملا يرجى تحقيقه كما سيتبين من مقارنة التداول.

### في التداول:

يدل التداول لغة على الممارسة العملية أو على القيام بفعل ما في الواقع مرة أو مرات عديدة، ويتم ذلك بكيفيات مختلفة تبعا لاختلاف طبيعة كل فعل، و تتميز نتيجة لذلك دلالات التداول من مجال إلى آخر، فلا تتصادق إلا من جهة دلالتها على الإنجاز أو الفراغ من عمل ما. و لمزيد التوضيح نقدم الأمثلة التالية.

#### أ- دلالة التعاون:

يدل التداول في مجال البنائي على التعاون فإذا قلنا تداول الناس على بناء منزل يفيد ذلك دون شك دلالة التعاون من خلال التناوب فمرة يتولى فريق المهمة، ثم يتولى آخر المهمة حتى يتم تشييد ذلك البناء.

#### ب- دلالة الثباث أو المدارسة.

إذا قال قائل في المجال السياسي تداول الحكام العرب قضية فلسطيني دل ذلك على التباحث أو المداينة بغض النظر عن النتائج المتوصل إليها.

### ج- دلالة القراءة

يفيد التداول دلالة القراءة أيضا فحين نقول تداول القرائ مجلة التواصل الأدبي دل ذلك على قراءتها.

يستخلص من هذه الأمثلة أن التداول لغة يدل على الإنجاز الفعلي. بغض النظر عن النتائج المتحصل عليها التي قد تكون إيجابية و قد تكون سلبية أي نقوم بالفعل دون الوصول إلى النتائج المرجوة.. إنه يدل على القيام بالفعل و لكنه لا يشترط النجاح فيه.

### التداول اصطلاحا:

أما التداول على الصعيد الإصطلاحي فيدل دلالة مزدوجة تشمل القيام بالفعل والنجاح فيه معا، أو على الإنجاز و الفاعلية التي تتمثل في الجانب النفعي للعمل.

وقد كرس هذا بالمفهوم الفلسفة البراغماتية Pragmatisme والتي تعرف بالذرائعية و بالتداولية أيضا كما يدل على ذلك مصطلح التداول وهي الفلسفة القائمة على مبدأ المنفعة الذي يهتم بنتائج الأفعال اهتماما بالغا فضلا عن إنجازها، يعني ذلك أن كل فعل لابد أن يؤدي إلى تحقيق منفعة ما، وقد جعلت هذه الفلسفة التداول معيارا للحكم على صدق (صواب) وفاعلية الأفكار، بل كل النشاطات الإنسانية حيث يدل صدق الأفكار على أنها أفكار واقعية قابلة للتحقيق في الواقع، مما ينفي عنها صفة المثالية والأحكام التي لا يمكن تجسيدها في الواقع، فالتعارض هنا واضح بين عنصري الثنائي الضدية (واقعية/مثالية) ويشترطون فضلا عن واقعية الأفعال الفاعلية ومفادها أن تحدث هذه الأفكار أثرا حقيقيا في حياة الناس مثل مشروع الطيران الذي تتشابه فيه الواقعية والفاعلية بصورة جلية من خلال تجسيد الفكرة و الانتفاع بها عمليا.

وتستمد وفقا لهذا المفهوم كل النشاطات الإنسانية قيمتها من التداول، وتستوي في ذلك النظريات العلمية و السياسية والجمالية، فلا تقوم أية واحدة في ذاتها، وإنما تستمد

قيمتها بعد أن تثبت جدواها في الواقع، وبالتالي فإن النظريات العلمية لا تستمد قيمتها من حيث هي تصور نظري صرف مهما أغرق في التماسك و ارتفع إلى درجة المثالية، و إنما تستمد قيمتها من إمكانية تطبيقها في الواقع، الأمر الذي يعد محكا حقيقيا لإثبات فاعليتها مما يجعلها نظرية متداولة.

وينسحب هذا المفهوم على النظريات الجمالية التي ترهن شهرتها وذيو ع صيتها بتداولها أي بفضل إقبال الناس عليها و ليس من حيث هي نظريات جمالية مثالية فوق الزمان و المكان. فالجماليات الحققة من منظور هذا المفهوم هي تلك التي تثبت بوجودها في الواقع فيجعل الناس يقبلون عليها لأنها تلبي حاجاتهم المختلفة.

وتأسيسا على ذلك لا يوجد عمل أدبي قصيدة أو رواية أو مسرحية جميل في ذاته و إنما يكتسب ذلك من خلال تداوله عمليا، فيصبح عملا مقروءا من طرف شريحة واسعة من القراء لأن هذه الشريحة وجدت فيه ضالتها المنشودة.

ويصبح التداول تأسيس على ذلك معيارا لتمييز الأعمال الجيدة من الرديئة، وبالتالي تكتسب الأعمال قيمتها وتستمد نجاحها الواقع من التداول وليس من الجماليات المتعالية في ذاته. ولنا في نظرية التلقي أسوة حسنة إذ يرتبط تداول الأعمال بما تحققه من منفعة لتلقيها سواء أكان ذلك عند النقاد الألمان أو عند أصحاب نظرية التلقي من وجهة نظر علم اجتماع القراءة.

### في التواصل

يرتبط التواصل بالتداول ارتباطا وثيقا، ذلك أن تداول أدب فرد أو جماعة ما يفضي بالضرورة إلى التواصل مع ذلك الشخص أو تلك الجماعة حتى وإن اختلفا ثقافيا، وعلى سبيل المثال فإن تداول الآداب اليونانية ينطوي بالضرورة على عملية تواصل مع تلك الأمة، لأن الآداب مرآة الشعوب تتجلى فيها صورتها بل هي ذاكرة الجماعة كما أكد ذلك نقادنا القدامى حين قالوا إن الشعر ديوان العرب يسجل أيامهم من حروب وسلم وعادات وتقاليد وما إلى ذلك مما يؤدي إلى الوقوف على حياة الأمم ويعرف بذلك أسباب

هضتها وأسباب أفول نجم حضارتها بعد أن ملأ الدنيا نورا كحال الحضارة العربية الإسلامية منذ عصر الانحطاط.

تتول في هذا السياق مجلة التواصل الأدبي التي ينسحب عليها كل ما ينسحب على كافة النشاطات الإنسانية، حيث يدل تداولها على تحسس صادق لقضايا العصر، ويؤدي هذا الانشغال بالقضايا الراهنة إلى تلبية حاجات جمهور عريض من المتلقين وفي هذا دلالة على تمتع المجلة بفاعلية.

وتكفي القارئ نظرة عجل على محتويات هذا العدد ليكتشف تنوع القضايا وحيويتها.

بقلم رئيس التحرير

الدكتور محمد بلوهم

## وظائف السارد في تغريبة بني هلال

أ. بريكة بومادة

جامعة عنابة

### تمهيد:

يشترط في كل عمل حكائي، الحكيم و القائم به ( الراوي ) والحكي له وهو المتلقي للحكي والخطاب أو القصة الحكيمية. وبين هذه الأقطاب علاقات ووشائج مترابطة، حيث يحاول الراوي " الذي يسرد القصة التأثير في المتلقي الذي يستقبل النص، ويتأثر به، ويحاول فتح فضاءات جديدة للقراءة والتأويل، ربما لم يشر إليها الراوي أو حتى لم ينتبه إلى وجودها. وحين يتعلق الأمر بحديث شفوي متداول، بالحفظ والمشافهة، تكون صعوبة الرواية والسرد مشكلة يتعرض لها الرواة الذين يستهويهم هذه الروايات، فيعكفون على إعادة صياغتها وإعادة بناء نصّ مهشّم وتكسّر من نص مكتمل إلى نصوص مبعثرة، على الراوي أن يحسن التعامل معها، حتى لا يفقد الصلة مع القصة الكاملة، وحتى يكون باستطاعته إعادة إنتاجها، أو إخراجها للمتلقي في أمّية حلة يرتضيها هو هذه المرويات الرائعة.

### 1-تعريف السرد:

يقوم فعل الحكيم على دعامتين أساسيتين هما:

1-أن يحتوي على قصة أو حكاية، تضم أحداثا ووقائع معينة.

2- الطريقة التي يتم بها رواية أحداث هذه القصة وهو ما يسمى بالسرد، ولذلك يعتمد على هذا الأخير في التمييز بين أنماط الحكى بصفة عامة، ذلك أن القصة الواحدة قد تحكى بطرق عدّة.

والسرد هو " الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق هذه القناة نفسها، وما تخضع له من مؤثرات، بعضها متعلق بالراوي والمروي له، والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها." <sup>1</sup>  
هذه القناة التي يتحدث عن الدكتور حميد الحمداني هي:

الراوي ← القصة ← المروي له.

ومعني هذا أن القصة ليست فقط مضموناً يرسل من الراوي إلى المروي له أو من السارد إلى المسرود له، وإنما هي شكل معين يقدم به هذا المضمون، وذلك أن لكل قصة شكلاً خاصاً بها له بداية ووسط ونهاية.

## 2- مكونات السرد:

السيرة باعتبارها رسالة كلامية تحتاج راوٍ أو سارد (Narrateur) وشخص يستقبل هذه الرسالة وهو المروي له أو القارئ (Narrataire).

1 - الراوي: "Narrateur" هو ذلك الشخص الذي يروي السيرة أو يخبر عنها، سواء أكان ما يرويّه حقيقة أم خيالاً. وقد عدّه رولان بارث (R, Barth) " شخصية من ورق"، ذلك أنه مجرد أداة تقنية يستعملها المؤلف الذي هو شخصية من لحم ودم، لإيصال ما يريده للقراء، وللغوص بكل حرية في عوالم شخصيات السيرة المتعددة، حيث يدخل إلى أعماق الشخصية ليفجر لنا مواقف وأحداث تجلّ فضاءات الحكى والقص داخل السيرة.

فالمؤلف هنا هو من خلق تقنية الراوي ليخفي ورائها حتى يقول لك ما يريد دون أي طابوهات أو حواجز تفرضها عليه آليات قمعية خارج النص، فالراوي تقنية فنية تمكن المؤلف من التمتع حتى يعبر بحرية عن رؤاه الفنية المختلفة.

2- المروي: أي السيرة نفسها، أي أنه كل ما يصدر عن الراوي حيث ينتظم ليشكل أحياناً ووقائع تقوم بتنفيذها شخصيات معينة، وتتأطر ضمن فضاء زمني ومكاني محدد، وهنا

طرح الشكلايون الروس قضية المتن الحكائي الذي قصدوا به المادة الخام التي تشكل جوهر الوقائع، والأحداث ضمن سياق تاريخي محدد، و " المبني " وهو النظام الذي به تعرض الأحداث في سياقها السردى. وحين جاء السردانيون اللسانيون ( تودروف، جنيت...) فوقفوا بين القصة والخطاب باعتبار الأولى هي سلسلة الأحداث أو محتوى التعبير السردى ويقابلها المتن عند الشكلايون، والخطاب وهو شكل ذلك التعبير وهو ما يقابل " المبني ".

3- المروي له : " Narrataire " : وهو الذي يقوم باستقبال الرسالة التي ينشئها الراوى، وقد يكون المروي له شخصية معينة يقصدها الراوى برسائله أو شخصية متخيلة، فكما أن الراوى شخصيته من ورق كذلك المروي له هو كذلك، وقد يكون المروي له المجتمع بأسره، وقد اهتم السردانيون بالتلقى أو المروي له ضمن نظرية التلقى.

### 3-السرد:

بما أن وسيلة إذاعة السيرة، هي النقل الشفاهي لا تلزم الراوى حدوداً جامدة بحيث يكون المستطاع أن يضيف إليها أو يحذف منها أو يعيد ترتيب عناصرها.

فالنص الشعبي ممثلاً في السيرة الشعبية تقوم إستراتيجيته على جملة من الألاعيب والإجراءات التي يستعملها راوى السيرة حتى يكون نصّه قائماً بذاته لا يشابه النصوص الأخرى، ويكون إعادة لها، بل هو إنتاج جديد ورؤية أخرى تحمل المتلقى على أن يتعالى مع النص اليد لينتج هو بدوره قراءة جديدة تكشف عن أشياء لم يكشفها النص في حد ذاته.

### 4-تقنيات السرد:

1-العلاقة بين زمن الحكاية وزمن النص :

2-سرعة السرد : الحركية السردية :

المشهد :

الحذف :

التوقف :

3-وظائف السرد:

## 1- الأسلوب:

المستويات اللغوية : السجع : تبدأ السيرة من البداية بكلام مسجوع: " كانت بلاد نجد من أخصب بلاد العرب، كثرة المياه والغدران والسهول والوديان حتى كانت تذكرها شعراء الزمان بالأشعار الحسان وتفضلها على غيرها نظراً لحسن هواها.<sup>2</sup> وكما ورد كذلك في موضوع آخر: "... وما زالوا يقطعون البراري والآجام مدة تسعة أيام، وكانوا يستريحون بالنهار ويقطعون الفلاة تحت ظلام الاعتكار، حتى ولوا إلى بلاد العمق وهي بلاد الأمير مغامس، وكان دخولهم في الليل الدامس.<sup>3</sup>

وهكذا واصل راوي تغريبة بني هلال فجاءت جملة مسجوعة، ذات جرس موسيقي تطرب له الأذان وترق له القلوب، أسلوب جميل في جذب المتلقي إلى أحداث هذه المسيرة الكبرى، لأن الراوي يعلم جيداً أنه إذا كانت السيرة طويلة أصاب المتلقي الملل في الاستماع إلى كل أحداثها وتتبع كل جزئياتها، فكان لابد أن يزوج بين الحدث العام وبين حسن السباكة اللفظية التي تجمل المعاني التي يريد بها راوي السيرة.

فإذا كان اللفظ جميلاً كان المعنى مستساغاً لطيفاً، فما بالناس والراوي الشعبي يصوغ تجربة جماعية، فرضت عليه الالتزام بتنظيم من ناحية العطاء الفني ومن ناحية القلب الإبداعي، ومن ناحية التنظيم الأسلوبي أيضاً.

فلا يخلو موضوع من مواضيع تغريبة بني هلال من حسن السباكة، وجميل اللفظ، وحيث كان السجع حاضراً وبقوة بحيث أضفى على التغريبة رونقاً جمالياً.

" كان حاكم بلاد التركمان رجل عظيم الشأن واسمه " الغطريف " ويلقب بالغضبان، وله عدة وزراء وأعوان ومن جملتهم الوزير النعمان وهو صاحب معرفة وتدبير في أمور السياسة خبير.<sup>4</sup>

ولعل أهم سمة من سمات السرد في تغريبة بني هلال هي عبارة "قال الراوي" هذه العبارة التي توهنا بمصدقية الأحداث وبواقعيتها، ذلك أن القارئ للسيرة ينتظر سلفاً أن يقرأ أحداثاً تاريخية وقعت حقيقة، فعبارة " قال الراوي " وهي سمة أساسية من

سمات السرد العربي دون غيره يحضّر الراوي فنحس أنّ شاهد الأحداث وحضر كل الوقائع التي يعبر عنها.

" فقال الراوي " تعبير عن مصداقية الحدث وتاريخية التغريبة كتابة، فراوي السيرة لا يتعامل من نص مقدس " كالقرآن " والحديث النبوي الشريف يخشى عليه من التحريف والتبديل، وإنما يتعامل مع نص دنيوي من بنات أفكار البشر، فلا حرج من التزيد فيه والحذف منه بمقتضى الأحوال التي يعايشها الراوي الجديد. فمدون النص الشفوي مثله مثل الراوي الشعبي لا يستطيع أن يصل إلى درجة الإقناع إلا إذا كان عارفا بعمله جيدا مدركا تمام الإدراك الحاجات المستجدة لجمهور المتلقين فهو راو فاهم تماما لطبيعة عمله الذي انتقل من المشافهة إلى التدوين والكتابة، لذا فالتغيير وارد تفرضه طبيعة تدوين العمل الشعبي.

فكاتب النص الذي ليس إلا الراوي الجديد يكتب نصا شفويا لراو جديد، إذ أنّ النص المكتوب يتحول إلى نص شفوي عندما يقرأ ويلقى على جمهور لا يحسن القراءة والكتابة. فعلى الكاتب أن يحفظ كل مقومات النص الشفوي للراوي الذي سيتسلم النص بكل مقوماته ويعيد روايته من جديد ولذلك ترد عبارة " قال الراوي " في مواضع كثيرة من التغريبة دلالة على المصداقية وعلى المعيشة حتى يبلغ في تأديته للنص هذه المترلة التي ينشدها كل الرواة. " قال الراوي "، فلما فرغ الوزير من الكلام قال الخفاجي هذا هو الصواب والأمر الذي لا يعاب.<sup>5</sup>

فجميع رواة تغريبة بني هلال هدفهم هو الرفع من شأن مجتمع بدائي منسي على مسرح الأحداث إلى مجتمع عربي متحضر متحد يفرض نفسه بقوة وجدارة. ورغم أن التغريبة تفرقت إلى حكايات كثيرة إلا أن الرواة استطاعوا لمّ ملها، بحيث خلقوا بينها ترابطا وتماسكا ساهم في جعلها سيرة كاملة لا ثغرات فيها، حتى وإن كان لابد أن يزيد من خياله الخاص وأن يضيف من ثقافته المتفردة بعض المقاطع الحكائية حتى يغطي جميع الفضاءات الحكائية ويملي كل الفراغات التي قد تصيب النص في بعض تمفصلاته وأجوائه الحكائية الرائعة.

'' السيرة تكسرت وما زالت تتكسر، إنه يمكن أن تنقلص لتصبح في تطورها ملحمة لولا هذا التغير الشديد في إيقاع المجتمع ثقافيا، وتحوّل الاهتمامات نحو فنون ولدتها الثقافة الحديثة مما جعل السيرة تتوقف عند حدود من يعرفونها ليمثل تكسرها مرحلة من مراحل تطورها وهو تحولها إلى حكايات منفصلة لا ترابط بينها كما حدث لها في كثير من المجتمعات العربية.<sup>61</sup>

وهذا الوضع حدث في الجزائر حيث أن الذي يتصدى لجمع مرويّات السيرة الهلالية يصطدم بواقع لا فرار منه وهو هذه السيرة، وتكسرها إلى حكايات منفصلة لا ترابط بينها، فلا تجد أنّ هناك من يحفظ السيرة كاملة من البداية إلى النهاية، بل تجدي ذاكرة العامة المحدودة جدا بعض الحكايات عن بعض الشخصيات الهلالية المشهورة كالجازية ودياب، وحتى هذه الأقساميص والحكايات تصرف فيها الخيال الشعبي الذي لم يحافظ على الروايات كما وصلت إليه إنما أضاف وأضفى عليها صبغة جزائرية محضة تماشى والمتلقي الذي يصادفه وهو يروي مرويّاته التي يقول إنّها من صميم التاريخ وأن وقائعها حصلت فعلا، ونظرا للثقة الموجودة بين الراوي للتراث والمتلقي فإن هذا الأخير يقبل كل ما يقوله الراوي دون أن يجهد نفسه في البحث عن الأصول وعن الحقيقة، فالحقيقة كل الحقيقة ما يرويه الراوي، بل أكثر من ذلك فمستقبل هذا التراث يتفاعل ويساهم في عملية توصيل هذه الحكايات، إذ أنه يكل طرفا ماركا في عملية الحكّي والأداء، فالنص الشفوي الذي يضّيع أحد المتلقين هو وراويه وقعا في مآزق الفشل الذي سيقضي عليهما وسيمحو وجودهما على مسرح رواية الأحداث والقصص.

## 5-وظائف الراوي:

إن أمام راوي السيرة الهلالية مهمة محددة هي على قدر صعوبتها، فهي مهمة ممكنة الحدوث والحصول، وهي إمتاع المتلقي بسرد حكاية مكتملة الأحداث، مترابطة العناصر بحيث لا يسمح أبدا بولوج الملل إلى متلقيه أبدا، وثانيا عليه أن يحقق نجاحه من حيث هو رواية للتراث فحين تتحقق المهمة الأولى ونجاح، فإنه سيضمن وبجدارة تحقق المهمة الثانية.

وحين نتحدث عن التغريبة الهلالية موضوع الدراسة فإن الراوي، ورغم استرساله الطويل في الحديث عن موضوعات الأسفار والمغامرات والحروب الكثيرة وتنقلات بني هلال إلى أمكنة كثيرة، حيث كان طريق الرحلة طويلا وشاقا، إلا أن الراوي يعود بنا دوما إلى التركيز على الموضوع الرئيسي، وهو بحث القبيلة الهلالية عن موطن جديد.

فراوي تغريبة بني هلال حقق للمتلقي الإمتاع والتشويق من جهة كما حقق هدف رواية قصة مكتملة، وضمن بذلك وبجدارة لقب راوي وقصاص.

ما يلاحظ في تغريبة بني هلال إيراد مصطلح " الراوي " بجانب الفعل " قال "، وهو دلالة على من سمع قولاً ما، فقام هو بدوره بإعادة روايته كما سمعه أول مرة.

فارتباط التغريبة بالراوي أمر واضح ذلك أن العلاقة بينهما لا جدال فيها، والراوي هو المسؤول عن وصول هذه التغريبة إلى المتلقي، وهذا الراوي يقدم التغريبة في صورة وصيغة جديدة، حيث يتأثر بظروف البيئة التي يعيش فيها ثقافيا واجتماعيا كما تتأثر صيغة التغريبة بالزمان والمكان، فكل راوي إنما يصدر ناتجا طبيعيا لظروف البيئة والزمان.

وفي كل هذا فالراوي للتغريبة إنما يروي عن راو أول يظل متخفيا، لا يعلن عن نفسه، "وفي كل هذا إنما يروي عن راو أصل يتصف بصفات الراوي الأول الذي كان شاهدا على الواقعة المروية، وفيما يعلن الراوي في السيرة عن حضوره، فإن الراوي الأول يظل متخفيا، يتجنب الإشارة إلى نفسه."<sup>7</sup>

وعلى هذا الأساس فإن الرواة أنواع من ذل الراوي المفارق لمرويه وهو الذي يتدخل في كل كبيرة وصغيرة في السرد، حيث لا يصدر الحكى إلا بعد أن يعلن الراوي رأيه الصريح في مختلف تفصيلات القصة والأحداث.

والنوع الآخر هو الراوي المتماهي بمرويه، وهو الذي يترك الراوي على حريته دوغما تدخل مباشر منه، حيث يكون الراوي الأول مجرد سارد للأحداث، واصف للوقائع، فلا يحلل، ولا يجادل ولا يقدم انطباعات، إنما يكون وصفه وصفا آليا، مما يمنح للقارئ من بعد ذلك الحرية المطلقة في التفاعل مع الأحداث، فحين لا يكون انتصار ما لتيار معين على تيار آخر، فإن المتلقي يحس بحرية أكبر في الاستماع والاستمتاع والتأثر واتخاذ القرار الذي يراه يتماشى وفكره ونفسيته.

فعبارة " قال الراوي " توضح بجلاء أن هناك صوتا خفيا هو من يطلق هذه العبارة قبل بدء عملية السرد، وقص الحكاية كاملة، فمن يا ترى وراء هذا الصوت الذي نصطدم به كلما ولجنا كمتلقين عالم التفرية الواسع؟ ففي كل مرة يحاول فيها الراوي رصد علامة جديدة من علامات الحكاية الكبيرة إلا وسمعنا صوتا خافيا باهتا يقول " قال الراوي " هذا الصوت الذي ليس إلا السارد الخفي الذي يتخفى بجلاء ووضوح وراء هذه العبارة، حتى لا تكون عليه أي تبعات، فيقول كل ما يريد دون أن يصرح باسمه أو إحدى صفاته التي نستدل بها للدلالة عليه، أو لتساعدنا على معرفته، الراوي المختفي وراء هذه العبارة يواصل سرد سياقاته السردية مدعما عدم حضوره وعدم تدخله في تحليل مختلف السياقات الحكائية الواردة في التفرية مما يعطيه حرية أكبر في رواية القصة من على بعد مسافة منه، وينقل كل ما يريد على لسان " قال الراوي " هذا الأخير الذي يساهم هذا الصوت الخفي في جعله راويا عليما شاهدا حاضرا لكل المشاهد الحكائية، عارفا بما حدث وبما سيحدث، حيث تتداخل أصوات الشخصيات مع صوت الراوي فتبدو السياقات السردية حاضرة حية ويبقى الصوت الخفي يحرك هذه التدخلات دون أن يتدخل من قريب أو بعيد، إنما يحتفظ النص بنبرة صوت الراوي العليم الذي يسرد الأحداث ويعايشها في الوقت نفسه.

### وظائف الراوي المتماهي بمرويه:

1- وظيفة وصفية: يقوم الراوي بتقديم مشاهد وصفية للحروب والتراعات وللأعمال الفروسية والبطولية التي تحفل بها تغرية بني هلال دونما تدخل مباشر منه، فيكتفي الراوي بوصف هذه المشاهد بحيادية مطلقة، فقط كل ما عليه أن يصف وبدقة هذه الصور القتالية، فالراوي يظل متخفيا وراء هذه المشاهد الوصفية للحروب ولمختلف صور القتال والتزال، فيحس المتلقي أنه يشاهد صورا حقيقية للحروب التي يرويها الراوي، ولا وجود لها الأخير في هذه المشاهد إذ يحرص على عدم إظهار نفسه كطرف مشارك، فلا نجد له حضورا مباشرا، إذ أنه يصف دون أن يغلب عنصر على عنصر آخر، إنما فقط هو يصف ولكن

رغم هذا فإن الراوي في وصفه لهذه المواقف ورغم حرصه على التخفي، إلا أنه لا يتمكن من ذلك كلية فيبدو من خلال عرضه لمسرح الأحداث القتالية أنه معجب بطرف على حاب الطرف الآخر، وأنه يضخم من الأحداث ويجملها حين يصل إلى محاولة التأثير في القارئ حتى يتخذ المسار نفسه، ويدعم الطرف نفسه ومن ذلك ما ورد في مواضع كثيرة من تغريبة بني هلال، " وفي اليوم السابع تجهز الأبطال للمسير والارتحال فهدت المضارب والخيام، وانتشرت الرايات والأعلام ودقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالسيوف والنصول وركبت الحریم والعيال والأولاد والأطفال ونساء الأمراء والحازية أم محمد، وكان الأمير أبو زيد في مقدمة الفرسان.<sup>8</sup>

فالراوي يصف وبدقة تأهب قبيلة بني هلال للرحيل عن أرض نجد قاصدة بلاد الغرب بالضبط تونس الخضراء، فتحس أن الراوي للدقة المتناهية التي يصف بها هذا الرحيل أنه عنصر مارك في الرحلة، وأنه ركب مع بني هلال ورحل معهم.

أما في وصف مشاهد الحروب والقتال فإن الراوي أبدع فيها ومنها: "...برز الأهداف إلى الميدان وطلب مبارزة الفرسان، فبرز إليه دياب وصدمه كليث الغاب، فالتقاه الأهداف وهجم عليه هجوم الأسد الرئيل، وما زالا في أشد قتال وطعان يذهل عقول الشجعان، إلى أن انتصف النهار، وكان إلى أن استظهر عليه دياب وضربه على عنقه بالسيف البتار فقطعه نصفين وألقاه في ساحة المجال، فلما رأت جموع الديبسي ما حلّ بوزيرها، هجمت على دياب، فعند ذلك هجمت بنو هلال من اليمين والشمال، والتقت الرجال بالرجال وجرى الدم وال من شدة الحرب والقتال، ومازالوا على تلك الحال إلى وقت الزوال.<sup>9</sup>

إن الراوي هنا أكثر جرأة في وصف الأحداث، حيث توغل في رد أحداث القتال بين الأمير دياب والأهداف، ثم وصف بدقة حرب الجموع الهلالية التي تذهل عقول الشجعان كما قال، فقد عمل الراوي على إرهابنا في مطارداته ونحن نحاول أن نتبع معه هذه الأهوال وهذه الحروب. فنجد أنفسنا أمام راو خلط الوقائع العجائية والتزم في الوقت ذاته بحدود الشرعية الخيالية والرمز، حيث وصف الحرب والقتال وصفا عجائبا،

يوحي بالمصادقية والحقيقة في قالب اللاحقية، مما يجعلنا نحس بأنفاسه المترتبة اختارة القلقة، وهي تتابع جديد هذه الحروب.

ويواصل الراوي المتماهي بمرويه وصفه لرحلة بني هلال التي ركز عليها باعتبارها الموضوع المركزي والرئيسي الذي بنيت لأجله هذه التغرية. وكلما أراد الراوي الرفع من درامية الأحداث مزج الشعر بالنثر ليزيد من حماسة الأحداث وملحميتها، فإخطاب العربي يساعد الراوي على زيادة وطيس الحروب، ومن ذلك ما ورد في التغرية على لسان أبطال الهلالية ومنهم: أبو زيد الهلالي فارس الحروب، وقائد المعارك، ويد الخيل والمكائد حيث يقول:

|                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| يقول أبو زيد الهلالي سلامة   | فمن كان شقي لا تسعده الأيام  |
| نعم أيها الغادي وحامل كتابنا | تجد السرى في واسع الأكام     |
| إذا جيت تونس وقابس أرضها     | فسلم على الفتى المسمى العلام |
| أوصيك في مرعي ويحي وبونس     | أولاد أختي من فروع أكرام     |
| فلا بد ما أرجع وأعود وأنثي   | ولا بد ما آتي بقوم لزام      |
| بأربع تسعينات ألوف عدادهم    | تشبه جراد منتشر بغمام        |
| ولا بد من لطمه على باب تونس  | ويبقى الدما فوق الثرى عوام   |
| ولا بد من قتل الوهيدي بصارمي | وأبقي الزناتي بالقبور ينام   |
| وأهلك بلاد الغرب بحد صارمي   | وأملكك في الغرب يا علام      |

فأبو زيد يهدد ويتوعد الزناتي خليفة أمير تونس بالقتل والهلاك، كما يتنبأ بامتلاك أرض تونس الخضراء، وهذا ما يحدث لاحقا في أحداث التغرية الهلالية.

فالراوي ضمن هذه الوظيفة-وظيفة الوصف- يسترسل في ذكر أسماء الأماكن ومواقعها، وتحديد أسماء الملوك والأمراء، وكل هذا حتى يوهم القارئ بتاريخية الأحداث التي

يرويهها، فيضمن بذلك تصديق المتلقي لكل ما يروى له من وقائع لأنها مثبتة بالمكان والزمان وأسماء الشخصيات المشاركة فيها.

على الرغم من المتلقي يعرف سلفاً أن بعض الأحداث التي يوردها راوي التغريبة هي محض خيال، ومن بنات أفكار الراوي، وليت تأريخاً للأحداث والوقائع إلا أن الراوي يؤكد وبكل ثقة أن التغريبة الهلالية ليست أبداً وثيقة تاريخية، إنما أمام عمل إبداعي يعمل فيه الخيال عمله، وتفعل فيه الخوارق والمبالغات فعلها، فالمتلقي ليس عليه إلا أن يستمع ويستمتع، دون أن يبحث عن مدى مصداقية الأحداث أو عدم مصداقيتها، لأن الإبداع الشعبي أكثر من غيره مفتوح على هذه الفضاءات الخيالية الواسعة التي تمنح الراوي فسحة أكبر ليروي حكاية كاملة العناصر، دون أن يجهد نفسه في البحث في تاريخية الحدث، فالسؤال عن واقعية الأحداث سؤال غير وارد بالنسبة إلى جمهور القص الذي يهوى الاستماع إلى مثل هذه الحكايات. " وعلى هذا فإن واحدة من السمات البارزة للإنسان العربي المعاصر هي ارتباطه الذهني والنفسي والفكري بسلطة الذي سبقه منذ مئات السنين. <sup>10</sup>

وتغريبة بني هلال هي حديث شيق من راو متميز عبر عن الأحداث، ونسجها في خيوط متينة، حتى أصبحت حكاية مكتملة العناصر، تروى بتعالي غير مسبوق تغرب قبيلة بني هلال، ورحيلهم إلى بلاد الغرب باحثة عن وطن يرادف معنى الحياة والأمل بدلا عن الوطن الأول " نجد " الذي أصبح مرادفاً للموت والهلاك، فقد كانت رحلة إجبارية مليئة بالصعوبات والبكاء والحزن والدم، من أجل تحقيق حلم راود كل الهلاليين، وهو الوطن الآمن، وكذا إنقاذ حياة الأبطال " يحي ومرعي ويونس ".

## 2- وظيفة توثيقية :

وفيها " يقوم الراوي بتوثيق بعض مروياته، رابطاً إياها بمصادر تاريخية، زيادة على إيهام المتلقي، إنه يروي تاريخاً موثقاً. <sup>11</sup>

يستعمل الراوي ضمن هذه الوظيفة كل الوسائل المتاحة حتى يضمن تصديق المتلقي للأحداث المروية، فلا يتوانى من استخدام لبعض الأسماء الموثقة تاريخياً، بل والمعروفة

المشهورة، مثل : " تغريبة بني هلال " العنوان الكبير لهذا المروي وحده كفيلا بضمان نجاح هذه الوظيفة التوثيقية ذلك أن كتب التاريخ تؤكد جميعا أن قبيلة بني هلال رحلت من موطنها الأصلي " نجد " قاصدة بلاد الغرب، ولذلك ميت " تغريبة " ففيها دلالة المكان وهو الغرب ودلالة الغربة عن الوطن والأهل. " وسارت قبائل دياب وزغب وجميع بطون هلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه حتى وصلوا إلى إفريقية سنة ثلاث وأربعين.<sup>12١</sup>

فهذا ابن خلدون يؤكد خبر رحلتهم، مما يزيد من مصداقية التغريبة، فيجلب المتلقي إلى تفاصيل هذه الرحلة التي ثبت ذكرها في تاريخ ابن خلدون.

إضافة إلى تطعيم الراوي لهذه التغريبة بأسماء معروفة عاشت في التاريخ فهذا أبو زيد الهلالي ابن رزق الهلالي من الشخصيات الرئيسية في التغريبة، يبدأ الراوي بعرض الظروف التي سبقت ولادته، فولادته، ثم حياته بعيدا عن قبيلته، وعن والده الذي تبرأ منه لواد لونه، مما جعله سيدا على قبيلة أخرى، تعلم فنون الحرب والقتال وبرع فيها، كما تعلم عدة لغات مما جعله يندس في أقوام كثيرة يلهج بلغاتهم حتى يقضي حاجته، كما تعلم فنون السحر والتخفي والحيل والمكائد، ولولا هذه الخبرة ما استطاعت قبيلة بني هلال تخطي صعوبات كثيرة، كان أبو زيد وحده القادر على فك المغالق، وكسر الحواجز، حتى عدّ الشخصية الرئيسية في التغريبة، بل أكثر من ذلك حفظت هذه الخصية بجميع سماتها وصفاتها في الذاكرة الشعبية، وتناقلها الرواة، وأصبحت الشخصية النموذج الذي يتمنى كل فرد عربي أن يكون مثله، في ذكائه وشجاعته وقوته.

إلى جانب توظيف الراوي لبقية الشخصيات منها الأمير دياب قائد قبيلة زغبة، والأمير حسن الهلالي أمير القبيلة وقائدها، والمرأة المميزة المثال والنموذج للجمال والفتنة والذكاء، الجازية أم محمد الهلالية.

إلى جانب هذا فقد عمد الراوي الشعبي في التغريبة إلى تسمية الأماكن وذكر مواقعها، وخصوصا أنها محطات للرحلة، كان على القبيلة أن تجتازها لتصل إلى هدفها تونس الخضراء، فكل منطقة كانت تمرّ بها الجموع الهلالية إلا وقام الراوي إما بتسميتها أو تقديم أوصافها وبعض ماها، فتحدث عن نجد موطن القبيلة، ثم كان طريق الرحلة حيث دخلوا بلاد

حزوة -النير وهي بلاد الديبسي ثم تركوها قاصدين بلاد الأعاجم، إلى أن وصلوا إلى بلاد التركمان بلد الملك الغضبان، ثم رحلوا إلى العراق أين كان الأمير الخفاجي عامر الذي رحب بالوفود الهلالية وأكرمهم وأحسن ضيافتهم، فتركوه قاصدين حلب وحاكمها بدريس.

ولما دانت لهم الأرض والعباد رحلوا إلى الشام وكان الحاكم عليها شبيب التبيعي، وبعدها مباشرة قصدوا غزة بقلوب معتزة فقصوا فيها حاجتهم ورحلوا عنها قاصدين مصر القاهرة وملكها الفرمند الذي قاومهم كثيرا، حتى قتلوه وملكوا أرضه، ثم مروا بمكان اسمه المخاضة كثير المياه، ثم مروا على نهر النيل إلى أن وصلوا إلى بلاد الصعيد وكان الحاكم عليها الماضي بن مقرب وأخيرا دخلت الجموع الهلالية الأرض المطلوبة، وبلغت الغاية المشودة أرض المغرب وبالضبط تونس الخضراء أين كانت مقتلة عظيمة مع أميرها الزناتي خليفة، الذي قتل الكثير من فرسان الهلالية، وكادت الدوائر تدور على القبيلة حتى تدخل الأمير دياب الذي تمكن من قتله، وتسلمت الجموع الهلالية على أرض الأحلام، تونس الخضراء.

طريق الرحلة هذا الشاق والطويل المليء بالحزن والألم والدم والقتال، قدمه الراوي بكل جزئياته، حتى يوثق تغريبة بني هلال، ويعطيها شهادة ميلاد تثبت حقها في تاريخ الميلاد، وتواريخ كثيرة للحوادث والوقائع التي عرفت هذه القبيلة، منذ أن رحلت من أرضها وموطنها الأصلي - نجد- قاصدة أرضا جديدة، ووطنا آخر بديلا.

" الراوي كما نعلم، ليس تماما الكاتب، أو قل هو الكاتب وقد دخل هذا الأخير عالم قصّته، فوضع بينه وبين ذاته مسافة تحوله دخول هذا العالم الذي هو عالم الشخصية أو الشخصيات التي يحكي عنها، إن وضع هذه المسافة وإن اتخذ الكاتب صفة الراوي ودوره، معناه تمكنه من ممارسة لعبة الإيهام بحقيقة ما يروى.<sup>131</sup>

هكذا يُمكن للراوي الذي يجعل نفسه داخل اللعبة الحكائية وواحدا من الشخصيات أو قريب منها، وأن يوفق بين أن يكون صادقا في أداء واجبه المتمثل في كونه ناقلا للتاريخ، وبين أن يخلق في فضاءات الخيال لينتج قصا يقوم على دعامين الصدق التاريخي والخيال الحكائي.

حفلت تغريبة بني هلال بكتابات منحتها جمالياتها الخاصة المترامية الخطوط، المتزينة بالبساطة والغموض، المتوسلة بالكلام العادي المباشر حيناً، والطافحة بالترميز حيناً آخر،

الجامعة بين جميل اللفظ وحسن المعنى، حتى كأن كل مقارنة للحكي هي مقارنة لفك فرات الرموز لنسج هذه الجمالية الفضفاضة المنسوجة بخيوط تعبيرية تحي الخيالي واللاواعي في ثوب الواقع والحاضر الممكن، تجربنا أن نتجاوز متعة القراءة على إعادة النظر في ما وراء هذه المتعة وطرح حقيقتها على بساط البحث والمساءلة.

هكذا يبدو الاستسلام لتغريبة بني هلال استسلاما لمتعة القراءة وحرص دؤوب على جماليتها، بحيث يحملنا هذا الاستسلام على محاورة كل عناصرها وتأويل كل حكاياتها حتى نقدم نصا يقف محاورا ومجادلا ومحاولا فتح مغاليق التغريبة حتى يتسنى لكل قارئ التواصل معنا، ومع إحساسنا بهذه الجمالية القادرة على منح دلالات القول والحكي المنبثق من التغريبة ليخلق بنا في فضاءات التأويل والمحاورة.

## الهوامش:

- 1- حميد الحمداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، لبنان، 1993، ص 45.
- 2- تغريبة بني هلال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1989، الجزائر، تقديم روزلين ليلي قريش. ص01.
- 3- التغريبة : ص09.
- 4- التغريبة : ص 55.
- 5- التغريبة : ص 63.
- 6- أحمد شمس الدين حجاجي: مولد البطل في السيرة الشعبية، دار الهلال، القاهرة، ط2، 1991، ص 28.
- 7- عبد الله إبراهيم: السردية العربية، ص143.
- 8- التغريبة : ص 29.
- 9- التغريبة : ص 33.
- 10- إبراهيم بدران: دراسات في العقلية العربية، دار سلوى الخماش، دار الحقيقة، بيروت، لبنان، ط2، 1979، ص07.
- 11- عبد الله إبراهيم: السردية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، 1992، بيروت، ص150.
- 12- تاريخ ابن خلدون " كتاب العبر " وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة محال للطباعة، المجلد 06، بيروت، لبنان، مجلد06، ص 14.
- 13- يميني العيد: تقنيات السرد النبوي في ضوء المنهج النبوي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص190.